(حذيفة بن اليمان)

(مواقف مشرفة وسيرة عطرة)

خُطْبَةُ جُمُعَةٍ لِشَيخِنَا الفَاضِلِ أَبِي المُنذِرِ منيرٍ السَعْدِي العَدَنِيّ _حَفِظَهُ اللهُ تعالى

١٠ جمادى الأولى ١٤٤٥ هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) .

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) .

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

أيها المسلمون عباد الله :

فنقفُ في هذه الجمعة مع شيء من سيرة صحابي جليل ، أحدِ أصحاب رسول الله ﷺ الفضلاء ، ومن الحكماء النجباء ، والفطناء الأذكياء ، عُرف بسرعةِ البديهة ، وحسن التصرف ، ومعالجة الأمور ، فارسٌ من الفرسان ، وشجاع من الشجعان ، عابدٌ تَقي ، زاهد ورِع نقي ، إنه أبو عبد الله : حذيفة بن اليمان ﷺ وعن أبيه .

واليمان : اسمه حسين ، وقيل حِسْن العبسي ، من بني عَبس ، وكان حليفًا لبني عبد الأشهل الأنصاري ، ولهذا قيل له اليمان ؛ لأنه حالفَ الأنصار ، وقبائل الأنصار يمانية .

وأم حذيفة هي الرَباب بنت كعب بن عبد الأشهل الأنصارية .

حذيفة بن اليمان صاحب سرِّ رسول الله ﷺ ، فقد أسرَّ له النبيُّ ﷺ بأسماء المنافقين ، فكان كاتمًا لهذا السر ﷺ وأرضاه ، وناشده عمر بن الخطاب : هل عدَّني رسولُ الله ﷺ من المنافقين ؟!

فقال حذيفة : لا ، ولا أبرئ أحدا بعدك .

حذيفة بن اليمان كان يَحتاط لدينه ، ويتحرز لنفسه ، فيسأل رسول الله ﷺ عن الشر ؛ حتى لا يقع فيه ، وكان لأجل ذلك من أعلم الناس بالفتن الكائنة إلى يوم القيامة .

في الصحيحين عن حذيفة ﷺ قال : كان الناسُ يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافةَ أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله ، قد كنا في جاهلية وشر ، فجاء الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟

فقال : (نعم) .

فقلت : فهل بعد ذلك الشر من خير ؟

قال : (نعم ، وفيه دَخَنٌ) .

فقلت : وما دخنه ؟

قال : (قومٌ يهتدون بهديي ، تعرف منهم وتنكر).

فقلت : وهل بعد ذلك الخير من شر ؟

قال : (نعم ، دعاةٌ على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها) .

فقلت : يا رسول الله فبمَ تأمرني إن أدركني ذلك الزمان ؟

قال : (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم).

فقلت : إن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟

قال : (تعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تَعضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).

حذيفة بن اليمان شَهِدَ أُحدًا ، وشهدها أبوه ﷺ ، واستشهد اليمانُ في تلك المعركة ، قتله المسلمون خطأ، وذلك أنهم كانوا يلبسون على وجووهم لَأْمَة الحرب ؛ يتقون بها السهام والرماح وضربات السيوف، ولم يكن لهم علامة يُعرفُون بها ، وقد حصل ما حصل في غزوة أحد ، فظنَّ المسلمون أنه واحدٌ من المشركين ، فهجموا عليه ، وحذيفة يَرى ، وبناديهم: إنه أبي ، فما انفكوا عنه حتى قتلوه ، فقال : إنه أبي، قالوا والله ما عرفناه ، وصدقوا ﷺ وأرضاهم ، فقال حذيفة : (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) . ثم انطلق في المعركة يقاتل ويؤدي واجبه فيها ، ولما علم النبي ﷺ ، أراد أن يدفع دِيَةَ أبيه ، فتصدَّق بها حذيفةُ على المسلمين ، الله أكبر !! .

ما هذا الحِلم ! ما هذا العفو ! ما هذه المسامحة ! من هذا الصحابي الجليل ﷺ وعن أبيه .

حذيفة بن اليمان له في غزوة الأحزاب موقف عظيم ، تلك الغزوة التي حاصر فيها المشركون في جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل ، حاصروا المدينة ، وحصل فيها من الجوع ، وحصلت تلك الريح الشديدة ، وكانوا كذلك في برد شديد ، في صحيح مسلم : قال حذيفة ﷺ : لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب ، وقد أخذتنا ريحٌ شديدة وقرٌّ –يعني بردًا شديدًا– ، فقال النبي ﷺ : (ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟).

فقال حذيفة : فسكتنا ، فلم يجبه أحد .

فأعاد النبيُّ ﷺ : (ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟) .

قال حذيفة : فسكتنا ، فلم يجبه أحد .

ثم في الثالثة قال رسول الله ﷺ : (قم يا حذيفة ، فأتنا بخبر القوم).

قال حذيفة : فلم أجد بدًا إذ دعاني باسمي أن أقوم .

فقال : (اذهب يا حذيفة ، فأتني بخبر القوم ، ولا تَذعَرهم عليَّ) أي :ولا تتصرف تصرفًا يَنفرون ويتحركون ، فيحصل الضرر علينا وعليك .

قال حذيفة : فلما وليت من عنده كأني أمشي في حَمَّام –يعني في جو دافئً ساخن– والناس تشعر ببرد شديد ، كرامةٌ عظيمةٌ أكرم الله بها حذيفة لما استجاب لأمر رسول الله ﷺ في هذه المهمة الصعبة ، جعل الله له دفئًا يمشي فيه ، والناس تشعر ببرد شديد ، قال : حتى أتيتهم –أي حتى أتى المشركين– ، فرأيت أبا سفيان –وهو قائد جيش المشركين في غزوة الأحزاب– يَصْلِي ظهره بالنار –أي من شدة البرد– ، فكأنَّ أبا سفيان أحسَّ بدخول أحد فيهم من غيرهم ، فقال : لِينظر كلُّ واحد منكم جليسَه .

قال : فضربتُ بيدي على من بيميني ، فقلت : مَنْ ؟ .

فقال : فلان بن فلان .

ثم ضربتُ بيدي على من بيساري ، قلت : مَنْ ؟ .

قال : فلانُ بن فلان .

سرعةٌ بديهةٌ ، وحكمة ، وفطنة ، وحسن تصرف ، ومعالجة للأمور ، من حذيفة ﷺ .

ثم سمع أبا سفيان وهو يأمر جيش المشركين بأن يَرجعوا إلى بلادهم ؛ فإن تلك الريح التي أرسلها الله عز وجل عليهم لم يكن لهم معها قرار ، فأمرهم بالمغادرة .

قال حذيفة : فلما رَكِبَ أبو سفيان ناقته ، وضعت سهمًا في كبد قوسي –أريد أن أرميه– ، قال :فتذكرت قول رسول الله ﷺ : (ولا تذعرهم عليَّ) ولو رميته لأصبته ، ثم رجع حذيفة ﷺ إلى رسول الله ﷺ ، قال: وكأني أمشي في حمَّام ، حتى وصل إلى رسول الله ﷺ ، وأخبره بخبر القوم ، قال : فلما فرغت من مهمتي، قُرِرتُ –أي رجع لي الشعور بالبرد– كما يشعر الناس .

قال فألقى علي رسول الله ﷺ من فضل عباءته التي كانت عليه يصلي عليها ، فلا زلت نائما حتى أصبحت ، فقال النبيُّ ﷺ : (قم يا نومان) يعني : يا كثير النوم ؛ يداعبه ويمازحه ، صلوات ربي وسلامه عليه .

حذيفة بن اليمان شهد الحرب بنهاوند ، تلك المعركة العظيمة بين المسلمين والفرس ، والفرس في مئة ألف مقاتل ، والمسلمون في حدود ثلاثين ألفًا ، وقد أمَّر عمر ﷺ ، وكان ذلك في خلافته ، أمَّرَ عليهم النعمانَ بنَ مُقَرِّن ﷺ ، قال : فإن قُتِلَ النعمان فأميركم حذيفة ، فإن قتل حذيفة فأميركم جرير ، فقاتل المسلمون في تلك المعركة قتالًا ، فقُتِل النعمان بن مُقرِّن ، وقبل أن تسقط الراية أخذها حذيفة بن اليمان ﷺ وأرضاه ، وفتح الله عز وجل مدن فارس كلها على يديه ﷺ وأرضاه .

ثم نزل نَصِيبِينَ ، وتزوج فيها ، ثم أمَّره عمرُ على المدائن في العراق .

قال ابن سيرين : بعث عمرُ حذيفةَ إلى المدائن أميرًا عليها ، فذهب على بَغْلَةٍ ، وبيده رغيف خبز يأكله ، حتى وصل إليهم ، فاستقبله الناس ، فقرأ عليهم حذيفةُ عهد أمير المؤمنين بالإمارة ، فقالوا : سل ما شئت أيها الأمير.

قال : طعامًا آكله ، وعلفًا لبغلتي من تِبْنٍ ، ما دمت فيكم .

فأقام فيهم ما شاء الله أن يقيم ، ثم بعث إليه عمرُ أن اقدم ، وكان عمر يحب أن يختبر الصحابة هل غيرتهم الدنيا أو لا ؟!

فكَمِنَ له في الطريق ، واختبأ له في الطريق ، ينظر كيف يكون حال حذيفة ، فإذا به على البغلة نفسها ، رجع بالحال التي ذهب بها عليها ، فجاءه عمر ، واحتضنه ، والتزمه ، وقال : أنت أخي ، وأنا أخوك.

(مِنَ المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا).

مات حذيفة في سنة ست وثلاثين من الهجرة بعد مقتل عثمان بأربعين يومًا .

قيل لأبي مسعود البدري ﷺ : ماذا قال حذيفةُ عند موته ؟

قال : لما كان السحر ، قال حذيفة : أعوذ بالله من صباح إلى النار !! أعوذ بالله من صباح إلى النار !! أعوذ بالله من صباح إلى النار !! .

فرضي الله عن حذيفة وعن أبيه وعن الصحابة أجمعين .

أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرا أما بعد أيها المسلمون عباد الله:

فنستفيدُ من هذه السيرة العطرة لهذا الصحابي الجليل ﷺ تلكَ الأخلاق والأوصاف التي كان عليها من حكمة وذكاء وفطنة ودهاء وحسن تصرف وسرعة بديهة ومعالجة للأمور وكتم للأسرار مع عبادة وتقى وزهد وورع ونقاء ﷺ وأرضاه .

ونستفيد –وهو أعظم ما نستفيده من هذه السيرة العطرة ذلك الموقف العظيم ، فإنه قد ضبط نفسه ، مع أنه كان يغار على دين الله ، وفي قلبه من العداوة للمشركين ، وقد تمكن من قائدهم ، وقد تمكنهم من رأسهم في ذلك اليوم (أبي سفيان) وكان مشركًا ، حين ذاك تمكن من قتله ، ووضع السهم في كبد قوسه، لكنه تذكر قول رسول الله ﷺ : (ولا تذعرهم علي) لا تتصرف تصرفًا طائشًا يَجني علينا وعليك.

لا تتصرف تصرفا متهورًا ، يأتي بالنكبات والمصائب على الإسلام والمسلمين ، (ولا تذعرهم علي).

فمنع نفسه ﷺ وأرضاه ، وضبط غيرته بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ .

قال العلامة العثيمين –رحمه الله وغفر له– عند هذا القصة :

لو كان طائشٌ من الطائشين في هذا الزمان ممن يدعي الغيرة على دين الله لقتله ؛ لأنه تمكن منه بسرعة، فيجلب على الأمة المصائب والنكبات ، لكن حذيفة ﷺ وأرضاه ضبط غيرته ، ومنع نفسه ، وحبسها على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، وهذا هو الجهاد ، أن تحبس نفسك على طاعة الله وطاعة رسوله .

ليس الجهاد هو التهور ، ليس الجهاد أن تنفعل وتتقدم في موضع تنهى عن التقدم فيه ، إنما الجهاد من حبس نفسه على طاعة الله وطاعة رسوله ، وصدق –رحمه الله تعالى رحمة واسعة–.

هذا هو الجهاد أن تتقدم في الموضع الذي تؤمر فيه بالتقدم ، وأن تنتهي عن التقدم في الموضع الذي يكون فيها التقدم تهورًا وطيشًا ومجازفة ومغامرة ، تجلب للأمة الويلات والنكبات.

ألا واعلموا أن ورثة الأنبياء هم العلماء ، كان الصحابة يرجعون إلى رسول الله ﷺ ، ويأتمرون بأمره، ويأخذون بنصحه ، ويستجيبون له ، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء ، هم ورثة النبي ﷺ بعد موته ، فعلى الأمة إذا أرادت النجاة ، إذا أرادت الفلاح ، إذا أرادت الفوز ، إذا أرادت أن تستقيم لها دنياها ودينها وأخراها أن يرجعوا إلى علماء الأمة الربانين ، علماء السنة والجماعة ، لا سيما في النوازل والفتن .

وإنك لتعجب من قوم ينادون اليوم في ظل هذا الأحداث : أين العلماء ؟! لماذا لا يتكلم العلماء ؟!

فالجواب لهؤلاء أن يقال : هل سأل أولئك الذين غامروا تلك المغامرة ، وجازفوا تلك المجازفة ، وتصرفوا ذلك التصرف ، هل سألوا علماء الأمة ؟! هل سألوهم ، فقالوا: هل نقدم على هذا التصرف ؟!

هل نقدم على هذه المغامرة ؟!

هل هذا من الجهاد في سبيل الله ؟!

هل هذا مما أمرنا الله به ؟!

هل هذا مما يرضي الله جل وعلا ؟!

هل سألوا قبل أن يقدموا وقبل أن يتهوروا ؟!

لا ، ما سألوا ، ولا رجعوا إلى علماء الأمة ، فكيف تطالبهم بالكلام ، وكيف تطالبهم بأن يتكلموا ، وأن يفتوا ، وما أحد من أولئك من أصحاب المغامرات والتهورات رجع إليهم ؛ فيسألهم : هل نتقدم أو لا ؟! هل نقتل أو لا ؟! هل نأسر أولا ؟!

فارجعوا معاشر المسلمين ، لا سيما الشباب ، ارجعوا إلى الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة ، وعلى توجيهات علماء الأمة الربانين ، يكون لكم بذلك النجاة ، اضبطوا الحماسات والعواطف ، وإياكم أن تغتروا بالإعلام ، وإياكم أن تغتروا بالإعلام ، إن العالم كله أو أكثره ربما يصور أن تلك المغامرات شجاعة، وأنها إقدام ، وأنها كذا وكذا ، فلا تنفعلوا ، ولا تتحمسوا ، وكونوا كحذيفة وسائر الصحابة في ضبط أنفسهم ، وضبط عواطفهم ، وضبط غيرتهم بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ .

فإذا أفتى العلماء بأن هذا جهاد جاهدنا وقاتلنا ، وإذا أفتى العلماء بأن هذا طيش وتهور رجعنا عن ذلك، وأخذنا بما يفتي به ورثة الأنبياء ، تحصل لنا النجاة والسلامة لنا ولديننا ومجتمعنا ولأمتنا بعامَّة .

قام بتفريغها: أحد طلبة الشيخ.